فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٦)
السنة الثالثة شعبان ١٤٤٦هـ شباط ٢٠٢٥م

قراءة في كتاب
« بدائع السلك في طبائع الملك»
لأبي عبدالله بن الأزرق «ت٨٩٦هـ. ١٤٩١م»

أ.د. الاء نافع جاسم
جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٦)
السنة الثالثة شعبان ١٤٤٦هـ شباط ٢٠٢٥م

المستخلص:
يُعد كتاب بدائع السلك من الكتب التراثية في علم الإجتماع السياسي لدى المسلمين وهو حلقة مهمة في سلسلة الفكر الإسلامي .
لقد لخص ابن الأزرق آراء السابقين ثم أضاف إليها أفكاره ورؤيته الخاصة مما جعل كتابه عملاً أصيلاً وعميقاً ، فضلاً عن إضافته إلى كتابات ابن خلدون مما جعلهُ مكمل لكتاب ابن خلدون .
وإن هذا الكتاب ذا قيمة تضمن الكتاب جوانب عديدة من شؤون الحكم يبدأ من السلطة إلى علاقات الحاكم والمحكومين فضلاً عن إنهُ يُمثل وثيقة تاريخية مهمة تعكس الفكر السياسي الإسلامي في العصور الوسطى ، ومناقشة حقيقة الملك والخلافة وشروطهما وأسباب وجودهما . لذا يمكن الأستفادة من أفكار ابن الأزرق من حيث فهم طبيعة السلطة والحكم والأدارة .
الكلمات المفتاحية : ابن الأزرق ، قراءة ، كتاب بدائع السلك في طبائع المُلك .

Abstract

The book Bada›i› al–Selq is one of the heritage books in political sociology among Muslims and is an important link in the chain of Islamic thought.

Ibn al–Azraq summarized the opinions of the predecessors and then added his own ideas and vision, which made his book an authentic and profound work, in addition to adding it to the writings of Ibn Khaldun, which made it a complement to Ibn Khaldun›s book.

This book is valuable as it includes many aspects of governance af–fairs, starting from authority to the relations between the ruler and the ruled, in addition to representing an important historical docu–ment that reflects Islamic political thought in the Middle Ages, and discussing the reality of kingship and caliphate, their conditions and the reasons for their existence. Therefore, Ibn al–Azraq›s ideas can be used in terms of understanding the nature of authority, rule and administration.

Keywords: Ibn al–Azraq, reading, the book Bada›i› al–Selq in the nature of kingship.

المقدمة :

إن الدولة في الإسلام تقوم على أساس الدين والدنيا عقيدة ومعاملة أخلاق ، فالمسؤولية في الدولة لاتقتصر على ولي الأمر أو الحاكم بل تكون المسؤولية مشتركة وإن كل إنسان لهُ مسؤولية بينما مسؤولية الإمام تكون أكبر وأعظم .
ففي النظام السياسي الإسلامي يكون الخليفة إماماً للمسلمين في صلاتهم وإماماً سياسياً يُحسن التصرف لاسيما لحماية الدولة الإسلامية وسيادتها ، وقد ظهر الفقه السياسي متأخراً عن كثير من العلوم وبدأ التدوين السياسي في أوائل القرن الثاني الهجري .
لقد برز بعض المفكرين في الفكر الإسلامي الذين إمتازوا ببراعتهم المنهجية وأصالتهم الخاصة ، كالمفكر « ابن خلدون» وهو أحد علماء علم الإجتماع السياسي الذي إمتاز بتطبيق المنهج الأستقرائي التجريبي على الظواهر

الأجتماعية والسياسية والأخلاقية ، ولم يكن هذا مقتصراً عليه فقط ، بل هناك مفكر آخر يُعد من أكبر مفكري الأسلام في فكر الأجتماع السياسي ألاّ وهو» أبو عبدالله محمد بن علي المشهور بابن الأزرق ت٨٩٦هـ « بكتابهِ الشهير « بدائع السلك في طبائع الملك « وهو موضوع بحثنا الذي لايقل بأهميتهِ وتكاملهِ ومنهجيتهِ عن كتاب « المقدمة « لأبن خلدون إلاّ إنهُ وصل بالنظريات الأجتماعية السياسية لدى المسلمين بخطوات أوسع أي أستطاع أن يوصل النظريات الأجتماعية إلى مرحلة النضج ، ومزج بين نظريات ابن خلدون ونظريات آخرى سياسية إسلامية ، تستند على إتجاه آخر ، يُخالف إتجاه ابن خلدون السياسي البحت، أي وضع ابن الأزرق «علم الأخلاق السياسي» الذي لم يكن متواجد عند ابن خلدون بشكل واسع وجعل لهُ مكانة في «علم الأجتماع السياسي» .

ويُعد كتاب « بدائع السلك في طبائع الملك « مصدر مهم من مصادر الفكر السياسي المغربي ـ الأندلسي ومن المؤلفات المهمة لما حوى من المعلومات القيمةعلى الرغم من وجود بعض الأرآء والأختلافات فيهِ .

ويُعد هذا الموضوع من الموضوعات التي تناولها المؤرخون المسلمون ووضعوا فيها كتباً كثيرة التي تطرقت وألفت في سياسة الملوك والأمراء والوزراء بكيفية التعامل مع شعوبهم وكيفية قيادة الأمة لاسيما بما تتضمن من فضائل خلقية كالشجاعة ، والكرم ، والوفاء ، والصدق والإحسان والهيبة والأبتعاد عن الجبن والكذب والبخل ...ألخ

لذا لابد التعرف على بعض منها وقد تم ترتيبها حسب التسلسل الزمني :

. كتاب « سلوك المالك في تدبير الممالك»، أحمد بن محمد بن أبي الربيع « ت٢٢٧هـ» .

. تاريخ الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي « ت٣٧٤هـ» .

. كتاب«الأحكام السلطانية « لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الغدادي الشهير بالماوردي «ت٤٥٠هـ» .

. كتاب « درر السلوك في سياسة الملوك « لأبي الحسن الماوردي .

. كتاب « السياسة أو الأشارة في تدبير الإمارة « ، لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي « ت٤٨٩هـ» .

. كتاب « در السلوك في سياسة الملوك « ، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي « ت٥٠٥هـ «

. كتاب « سراج الملوك « لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي « ت٥٢٠هـ» ، وهو من الكتب التي أعتمد عليها ابن الأزرق في كتابهِ « بدائع السلك في طبائع الملك « عندما تناول الإمامة بقولهِ .

بها وخصوصها»(١).

ويقول ابن الأزرق نقلاً عن الطرطوشي « ليس فوق السلطان العادل منزلة إلاّ النبي مُرسل وملك مُقرب ..»(٢).

. كتاب «المنهج المسلوك في سياسة الملوك « ، لعبد الرحمن بن نصر بن عبدالله الشيزري « ت٥٨٩هـ»

. كتاب « تهذيب الرياسة وترتيب السياسة « لمحمد بن علي بن الحسن القلعي « ت٦٣٠هـ» .

. كتاب « الشهب اللامعة في السياسة النافعة « ، لأبي القاسم بن يوسف بن رضوان المالقي «ت٧٨٤هـ» .

. كتاب « السياسة الشرعية « ، لأحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية « ت٧٢٨هـ»

. كتاب « مقدمة ابن خلدون» ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر « ت٨٠٨هـ»

وهذهِ الكتب أهتمت أيضاً بالفكر السياسي التي تبين العلاقة بين الظواهر الأنسانية والسياسية بتتبع وإستقراء الوقائع والأحداث ، والخروج منها بقواعد عامة تحكم العلاقة بين الظواهر الأنسانية والسياسية .

أما الكتاب الذي نحن بصدده فهو الكتاب الوحيد في «علم السياسة « أو في « علم السياسة الأجتماعية « كما أتفق أقوال المؤرخين القدامى على ذلك ، فضلاً عن قولهم بأنهُ كتاب لخص فيهِ مقدمة ابن خلدون مع إضافة زوائد كثيرة إليهِ (٣) ، وهذا يبين إعتماد ابن الأزرق في كتابهِ بالدرجة الأولى على مقدمة المفكر والفيلسوف الأجتماعي ابن خلدون وهذا واضح جداً لاسيما لإقتباساتهِ لعديد من النصوص فيما يتعلق بالخلافة والملك والسياسة والرياسة والعصبية القبلية ...الخ .

وقد لخص ابن الأزرق في بعض فصول كتابهِ مقدمة ابن خلدون من خلال عرضهِ لنظريات ابن خلدون ونظم بعض هذهِ النظريات تنظيماً منهجياً ، وأخذ من المقدمة نصوصاً متعددة ، وشرحها . ولكنهُ تجاوز ابن خلدون تجاوزاً كبيراً. وهذا جعل المؤرخين القدامى بقولهم بأنهُ أضاف «زوائد كثيرة « و « زاد عليه زيادة كثيرة نافعة»(٤).

وهذا يبين بأن علم الإجتماع السياسي لم يتوقف عند ابن خلدون بل ينضج ويخصب ويزداد غنى عند ابن الأزرق . ولسعة معلومات الكتاب الذي ضم بين بين طياته مواضيع شتى تخص الملك والخلافة وسائر الرياسات لذا ركزنا في بحثنا على المراتب السلطانية فتعد نظرية ابن الزرق بها من النظريات السياسية في الأسلام وقد آثرت تأثيراً كبيراً على الفكر السياسي الأسلامي .

المبحث الأول :

سيرته :

محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن مسعود أبو عبد الله الاصبحي الغرناطي الأصل المالقي الوادي آشي ويُعرف بابن الأزرق(٥).

ويرجع لقبهُ بابن الأزرق إلى إنها صفة جسدية قد لازمته ولازمت أسرته وليس لهُ علاقة بالأزارقة من المشارقة بل تكون أسرتهُ لها صلات بمدينة فاس وذلك لوجود أسرة الأزرق فيها(٦).

أما عن أسرته ونشأته فقد كانت المعلومات شحيحة جداً فأنهُ من القرن الخامس الهجري ، ولد بمالقة سنة ٨٣٢هـ ١٤٢٧م ، عربي من أسرة أندلسية(٧). لقد حفظ القرآن ، وتلا لأبن كثير على قاضيها ابن إسحاق ابراهيم بن أحمد البدري ، وعلى ابي عمر محمد بن أبي بن منظور ، والخطيب أبي عبد الله محمد بن أبي الطاهر بن محمد بن أبي بكر الفهري وعنهُ أخذ مبادىء العربية والفقه والفرائض . وكذا أخذ عن الأولين العربية والفرائض ، وعن ثانيهما الفقه والحساب(٨).

رحلاته العلمية :

لم يتوقف ابن الازرق باخذ العلوم على مدينة مالقة بل إنتقل إلى غرناطة ، وأخذ يدرس فيها على يد ابراهيم بن فتوح مفتي غرناطة : النحو والفقه والأصلين والمنطق ، وقرأ على قاضي الجماعة أبي يحيى بن محمد بن أبي بكر بن عاصم فقد جالسهُ كثيراً وأنتفع به(٩).

فضلاً عن ذلك لقد حضر ابن الأزرق مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي ، وهو أحد العلماء الذين أمتازوا بالزهد ، وكذلك مجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني والشريف قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن أبي يحيى بن أبي عبد الله التلمساني الشارح جده لجمل الخونجي ، والخطيب المفتي أبي عبد الله محمد بن يوسف بن الحواق العبدري ، وكذلك درس الأدب على يد الإمام محمد بن زكريا بن الجبير اليحصبي وهو يُعد أحد الأعلام المتأخرين بالأندلس ، ولم يكتف بذلك بل رحل أيضاً إلى فاس وتلمسان وتونس ألخ(١٠).

الوظائف التي تقلدها

تقلد ابن الأزرق وظائف قيادية خلال حياته المهنية بعد عودته إلى مدينة مالقة تولى قضاء غربي مالقة في أيام سعد بن علي بن يوسف بن نصر صاحب الأندلس بتلك الفترة ، وكذلك تولى قضاء مالقة نفسها عن أبي عبدالله محمد بن سعد ، ثم قضاء وادي آش عن أخيه علي بن سعد ، ثم تم نقلهُ إلى مالقة ثانية وبعدها تم تعيينه من قبل السلطان أبو الحسن قاضي الجماعة بغرناطة(١١).

وبقى ابن الأزرق بقضائهِ بعد وفاة السلطان أبي الحسن ، وأقره أخوه أبو عبدالله ، وأشتد حصار النصارى على غرناطة ونزل الطاغية في مرجها ، وخرج معهُ السلطان إلى وادي ياشي ومنها إنفصلا .وقد رأى ابن الأزرق وسائر فقهاء غرناطة إن الفتنة بين الملوك النصريين قد أنهكت المسلمين وأضعفت شوكتهم ، لذا أقتضت منه غيرته على تداعي الديار الأندلسية وتوالي إنكسارها أن يفكر آثر هذه الفتوى في السفارة لدى ملوك المغرب والمشرق أملاً في

إنقاذ ما يمكن إنقاذه والتأمل بالحصول على نجدة ان تردع الأعداء المتربصين وتبقى على الوجود الإسلامي ببعض تلك تلك الديار ، وبهذا قرر أن يتوجه إلى ملوك المسلمين ويتوجه إلى العالم العربي ، لكي يستنصر ملوك الأسلام وأمراءهم لأجل إنقاذ غرناطة ولمساعدة الأندلس في محنتها(١٢).

ويُشير الدكتور علي سامي النشار محقق الكتاب نقل رأي الدكتور عبد الهادي التازي إن ابن الأزرق لم يكن « فقط رجل وظيف شرعي ولكنه رجل دولة ، وكاتب ملك ورسول سلطان وإن سلطان بني نصر يؤثرهُ باسرار لايبثها إلى قاضي الجماعة»(١٣).

رحلاته :

ابن الأزرق القاضي والفقيه الأندلسي لقد كان يجوب برحلات عدة فكانت جزءاً لايتجزأ من تجربتهِ وقد ساهمت في توسيع آفاقه مما جعلهُ على إتصال مباشر بالعديد من الحضارات والثقافات وهذا التنوع الثقافي قد أنعكس بشكل كبير في تشكيل أفكاره وآرائهِ وبدورها أنعكست في كتابهِ « بدائع السلك في طبائع الملك».

توجه ابن الأزرق من غرناطة إلى مدينة فاس وقد شهد الخراب فيها وإنتشار الحروب والفتن الداخلية تعتصر فاس إعتصاراً فرأى السفير ابن الأزرق إن الأمل هو أستنفار ملوك فاس وكانوا يقاتلون بعضهم البعض ، ومنها رحل إلى تلمسان سنة ٨٩٠هـ لغرض طلب العون من السلطان أبي عمرو عثمان ابن محمد بن أبي فارس لمعاونة الأندلسيين في محنتهم النهائية ، وما ان مات السلطان بأواخر رمضان سنة ٨٩٣هـ ففي العام نفسه وصل ابن الأزرق إلى تلمسان وبعد وفاة السلطان حدثت فتنة في تونس وحدوث خلاف بين حفيد السلطان أبي زكريا يحيى مع ابن عمه أبي محمد عبد المؤمن وبهذا يأس ابن الأزرق وبأت مهمته بالفشل للمرة الثانية كسفير ، لذا قرر الرحيل منها والتوجه إلى مصر فبعد دخوله اتصل بالسلطان فايتباي سلطان مصر ، فتحرك باتجاه السلطان لإسترجاع الأندلس إلا إن إنشغال السلطان في نزاعه مع الروم من ناحية ومع الأتراك العثمانين من ناحية آخرى ، فمنها ترك مصر والتوجه بحرا إلى الحج ، وقد كانت حجته سنة ٨٩٥هـ ، وأقام في المدينة أربعة أشهر وفي مكة شهرين ، ثم عاد مرة آخرى لمصر لإعادت محاولته بإسترجاع الاندلس بعد نزولهِ بتربة السلطان عند أحمد بن عاشر إلا إنه لم يحصل أي إستجابة لهُ ، لذا سعى لدى السلطان في ولاية قضاء القدس . وبهذا رحل إليها وعُين قاضياً عليها وكان نزيهاً بقضائه(١٤).

شيوخه :

تلقى ابن الأزرق علومه على يد نخبة من علماء عصره الذين تركوا آثر واضح بشخصيتهِ العلمية وأفكاره ومدى الأستفادة منهم وأبرزهم :

. الإمام أبو إسحاق أبراهيم بن فتوح (ت٨٦٧هـ) وقد آثر بابن الأزرق تأثيراً شديداً ، فدرس عليه النحو ، وعلم الأصول الفقه ، وعلم أصول الدين والمنطق . وقد نقل عنه كثيراً في روضة الأعلام ، وكان الشيخ أبو أسحاق ابراهيم يقرأ لطلبتهِ مقالات ابن رضوان في المنطق وكتاب الشمسية ، ورجز ابن سينا وبعض رجزه في المنطق ، ومختصر ابن رشد في الأصول وجمع الجوامع وكراسة الجزولي والتسهيل لأبن مالك والشامل ، وكتاب سيبويه والكشاف ، وفي التصوف كتب الغزالي وبخاصة الجواهر والأربعين(١٥).

وقد أشار ابن الأزرق إلى طريقة تعليم شيخه التي كانت طريقة الحوار الدقيق بين الأستاذ والطالب ، وإعطاء الطالب حرية مخالفة أستاذه إذا كانت هناك للطالب وجه ودليل قائم يقبل غير الشيخ من العلماء، فقد كان الشيخ أبو أسحاق ابراهيم يفسح مجال لصاحب البحث مجال ويوسع المراجع له ، ويختار طريق التعليم به ويرتضيه ، توفيقاً على ما خلص له تحقيقه(١٦)

. الشيخ الإمام محمد ابن زكريا بن الجبير اليحصبي : وهو من الأعلام المتأخرين بالأندلس ، فقد درس عليه الأدب ، فكان شاعراً ، ومتكلماً ، فكان ابن الأزرق كثيراً ما ينشد أبيات شيخه المذكور ، فضلاً عن ذلك آثر ابن الجبير اليحصبي في شعر ابن الأزرق ، فحاكاه في طريقتهِ وسار على نهجهِ في نظمهِ(١٧).

. الرئيس القاضي محمد أبو يحيى ابن محمد بن أبي بكر بن عاصم القيسي الغرناطي ،يقول السخاوي عنهُ «جالسهُ كثيراً وانتفع به»(١٨)، ومدحهُ بقصيدة طويلة . وكان ابن عاصم . من كتاب الدولة النصرية ووزرائها وكان قاضي الجماعة بها ، ويصفهُ المقري بانه كان من « آيات الله في النظم والنثر» وقد أخذ من الفقه ومعرفة الأحكام بحظ بزّ فيه نظرائه وأنفرد في عصره بطريق الأدب ، بل ذهب الوادي آشي تلميذ ابن الأزرق إلى أن عاصم بن يحيى هو ابن الخطيب الثاني(١٩).

. الإمام محمد بن محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي (٧٨٤. ٨٦٥هـ) ، وإنه عالم غرناطة ومفتيها ، أخذ عنه جماعة كالقاضي أبي عبد الله بن الأزرق وأبي الحسن القلصادي وغيرهم ، وكان من أحفظ الناس لمذهب مالك ، وقد حضر عليه عدد كبير من جلّة العلماء منهم ابن الأزرق(٢٠).

. الإمام محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري المعروف بالمواق (ت٨٩٨هـ) إنه كان مفتي الحضرة بغرناطة وآخر الأئمة بها ، ويذكر بعد دخول النصارى لغرناطة وأستيلائهم عليها وجدوا الإمام محمد بن يوسف بها حياً ، فسألوا عن المقدم بها في العلم ، فدلهم على «المواق» فامروا باحضارهِ عندهم فامتنع فكلمه الناس ، فحضر عند الوزير الأسباني ، فبسط يده فقبلها وبعد خروجه أنكروه الناس لفعلتهِ ، وله مؤلفات عدة كشرحان على مختصر خليل الكبير سماه التاج والأكليل والمختصر من مسودتهِ وغيرها(٢١).

. الإمام أحمد بن أبي يحيى بن محمد بن أبراهيم بن محمد العبدري الأنصاري الأندلسي ، وقد كان معاصراً لأبي لأبي القاسم بن سراج ومن طبقتهِ في المائة التاسعة وقد أخذ منه ابن الأزرق(٢٢).

. الإمام عبدالله بن أحمد البقني ، أبو فرج الغرناطي (ت٨٦٠هـ) ،كان من علماء غرناطة وقد نقل عنه الو نشريشي في المعيار وهو من المفتين بغرناطة (٢٣).

. تلاميذه:

هناك العديد من المفكرين والعلماء قد تأثروا بأفكار ومؤلفات ابن الأزرق لذا هناك بعض من أهتم بدراسة المجتمع والسلطة بعد ابن الأزرق فضلاً عن المؤرخين الذين أعتمدوا على منهجه وسوف نذكر البعض منهم :

. الفقيه أبو عبدالله محمد بن الحداد الوادي آشي الغرناطي لقد ترك غرناطة وسكن تلمسان ، فكان يحترف النسخو، فقد نسخ بعض كتب شيخهِ ابن الأزرق فيقول المقري عنهُ « شيخنا وبركتنا العالم الجليل ، الخطيب المصقع ، البليغ المفيد إمام وقته في العلوم ، والتحصيل الفهوم قاضي الجماعة ، سيدنا أبو عبدالله محمد بن علي بن الازرق ، وامتع ببقائهِ ووصل أسباب سعادته»(٢٤).

. الحافظ أبو جعفر أحمد بن داود البلوي الأندلسي ، قد أخذ العلم من ابن الازرق وشيوخ غرناطة وقد رحل إلى تلمسان وقد ترك بعض أدعية شيخهِ ابن الازرق(٢٥).

. الإمام أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريشي الاصل ، التلمساني (ت٩١٤هـ) نزل بفاس وقد كتب نقول كثيرة من شيخهِ ابن الأزرق(٢٦).

. آثاره:

العالم ابن الأزرق الأندلسي لسعة علمه وتأثيره بكثير من العلماء والفلاسفة فضلاً عن أهتمامه بعلم السياسة والحكم فقد ترك إرثاً أدبياً فاخراً كالمقطعات الشعرية التي نقلتها الموسوعات الأندلسية الأدبية ، فمن آثارهِ : (٢٧)

. بدائع السلك وطبائع الملك : وهو موضوع بحثنا .

. روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الأسلام .

. شفاء الغليل في شرح مختصر الشيخ خليل : وهو شرح لكتاب مختصر في الفقه المالكي.

. وفاته :

لقد إزدادت الهموم على العالم ابن الأزرق لسماعهِ الأنباء المتلاحقة من الأندلس لذا لم يتحمل الصدمة والغربة في

آنٍ واحد ، لم يبق عندهُ بستان ولا مركب ولا مسكن ، فقد توعك ولم تلبث أنفاسه أن فاضت بعد شهرين من توليه القضاء حيث توفي يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة ٨٩٦هـ وبعد الفراغ من الصلاة وصلى عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الأقصى وحشر إلى جانب حوش البسطافي من جهة الغرب(٢٨).

منهجه :

إمتاز منهج ابن الأزرق لتناولهِ المعلومات العلمية ذا منهجاً علمياً دقيقاً يمتاز بالشمولية والدقة والموضوعية لاسيما توثيقه من المصادر الشرعية مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فضلاً عن المصادر العقلية كالفلسفة والمنطق ، ولايقتصر إستقائهِ للمعلومات عند ذلك بل أستشهد بأقوال وأرآء كبار المفكرين المسلمين كابن خلدون والماوردي والغزالي وغيرهم .

لقد كان إسلوبه سهل وسلس ذا سجع أدبي بعيد عن التكلف والتعقيد فهذا يساعد القارىء فهم الموضوع .

إتبع ابن الأزرق منهجاً في كتابة كتابهِ كغيرهِ من المؤرخين والمفكرين إبتدأهُ بالمقدمة وقد تضمن الخطوات التالية :

. يبتدأ ابن الأزرق كتابه بالبسملة والصلاة على نبينا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم الحمد لله تعالى والشكر على نعمهِ التي لاتحصى بقولهِ « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على مولانا محمد وآله وصحبه الحمد لله مالك الملك إيجاداً وتدبيراً ، ومبدعهِ من فيض جودهِ عليماً باسرار وجوده خبيراً ...»(٢٩)

. أشار ابن الأزرق في مقدمة الكتاب كغيرهِ من المؤرخين والمفكرين عن سبب تأليفه للكتاب وبأسلوب سجع أدبي بقولهِ « ...قصدت إلى تلخيص ماكتب الناس في الملك والإمارة والسياسة التي رعيها على الإسعاد بصلاح المعاش والمعاد أصدق إمارة على نهج يكشف من محيا الحكمة قناع الإحتجاب ويأتي في تقريرهِ لتهذيب ما فضل من تحريرهِ ، بالعجب العُجاب ، لاتحف به من تشوف لهذا الغرض ولم يعدل فيه من الجوهر إلى العرض ، من أمير صدقت فيهِ رغبته وظهرت ، ومأمور وضحت به دلائل الإفادة به ، وبهرت ولما أشتمل على كثير من أحوال الملك والدول وأمتع إيراده لمختار مراده من حكم الأواخر والأول ، وأبدى من أسرار الخليقة عجائب غريبة ، وقرر لها من برهان العقل السليم ما كفاه في التسليم والشكوك المريبة ، سميته»(٣٠).

. ويثبت ايضاً في المقدمة ممن يتكون الكتاب بقولهِ « عناية بما أحتوى عليه من القواعد الحكمية الأعتبار ، والحقائق التي حررها باوضح الدليل من شبهات التضليل نحارير العلماء الأحبار والفوائد الشرعية ، وإن كانت المقدمة ، بما سواها ، على الأطلاق مستخدمة ، ...ورتبتهُ على مقدمتين وأربعة كتب وخاتمة ، أذكرها الآن إجمالاً وأدل بها الناظر إليه على ما أشتملت عليه إشتمالاً»(٣١).

. أتبع ابن الأزرق كغيرهِ من المؤرخين بتفصيل كتابهِ في مقدمة الكتاب لما حواهُ من فصول وأبواب لذا قسم كتابه إلى مقدمتين مُشيراً بقولهِ « المقدمة الأولى : في تقرير ما يوطىء للنظر في الملك عقلاً ، وفيها عشرون سابقة ، والمقدمة الثانية : في تمهيد أصول من الكلام فيه شرعاً وفيها عشرون فاتحة»(٣٢) ، وكذلك قسم كتابه إلى أربعة كتب فرعية يشمل الكتاب الأول « الخلافة والملك وسائر أنواع الرياسات « وتضمنت المحور الأول « عن حقيقة هذه الأنظمة « أما المحور الثاني عن « سبب وجود الملك وشرطه « أما الكتاب الثاني يشمل « ذكر أركان الملك وقواعده مبناه» ويشمل فيه محورين ، الأول « الأفعال التي تقام بها صورة الملك من نصب الوزير وإعداد الجند وحفظ المال وإقامة العدل ورعاية السياسة ، وتقديم الولاة ، وتنظيم المجلس السلطاني ...» ، أما المحور الثاني يشمل « الصفات التي تصدر بها تلك الأفعال وهي عشرون تضم العقل والعلم والشجاعة والسخاء والحليم والعفو والوفاء بالعهد وكتم السر وغيره ..» ، أما الكتاب الثالث فخصصه ابن الأزرق لمطلوب من السلطان تشيداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعدهِ ويضم محورين الأول بـ « جوامع السياسة « وهي سياسة السلطان ، وسياسة الوزير ، وسياسة سائر الخواص ، والمحور الثاني : يضم « واجبات السلطان وتشمل حفظ الدين وتنفيذ الأحكام ، وإقامة الحدود وغيرها . وأخيراً الكتاب الرابع : فقد خصصهُ مؤلف الكتاب بـ « عوائق الملك وعوارضه» ويضم بابان ، الأول في « العوائق»

ويعرف فيه ابن الأزرق بمعناها ويحلل كيفية طروق الخلل إلى الدولة ، وأما الثاني فيخص « العوارض» يُعرف فيه بمعناه ، كما يتحدث فيه عن « المنازل الحضرية» و« المعاش والعلوم» .

. إمتاز أسلوب ابن الأزرق سهل وسلس بعيد عن التعقيد والتكليف لكي يكون سهلاً للقارىء ، فامتاز بالرصانة وقوة الأسلوب ووضوح مصطلحاتهِ التي وردت في الكتاب .

. إمتازت مواضيعهُ بالشمولية عند تناولهِ التعريف بالملك وأركانهِ وقواعدهِ وعوائقهِ وعوارضهِ .

. إمتاز كتاب ابن الأزرق بالدقة لاسيما لنقلهِ المعلومات من مصادر موثوقة فضلاً عن تحليلهِ للأحداث والشواهد .

. أعتمد مؤلف الكتاب في بعض الأحيان على نصوص من مقدمة ابن خلدون بصيغ عدة فتارةً يذكر النص كما هو موجود في المقدمة ، وأحياناً آخرى يلخص النص وتارةً آخرى يفسر أقواله ثم يعلق عليه بأقوال الآخرين .

. طبق ابن الأزرق المنهج الأستقرائي في عرضهِ لموضوع كتابهِ فكان أكثر وعياً من ابن خلدون عند استخدامهِ هذا المنهج وهذا واضح من تحليلهِ للجزئيات المستقرأة ، وتكثر التفريعات والجزئيات عندهُ .وقد كان إتباعهُ هذا المنهج تبعاً لما قدمهُ المسلمين بالعلوم الطبيعية ، والطبية ، والفلكية ، والكيميائية ثم طبقهُ علماء الأصول ، والفقه ، لاسيما العلوم الأنسانية ، وعلم الحديث وهذا واضح في علم التاريخ والسياسة .وكما هو موجود في مقدمة ابن خلدون فضلاً عن الطرطوشي الذي استعمل منطق الأستقراء في مجال غلم الكلام والفقه (٣٣).

. أعتمد ابن الأزرق في كتابهِ على القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف وبعض المصادر التاريخية والفلسفية .

. استقى ابن الأزرق معلومات كتابهِ من الكتب مشرقية . عربية أو مغربية . أندلسية فضلاً عن المصادر الفارسية وبعض الكتب اليونانية ، وكتب في السياسية كابن خلدون ، والطرطوشي ، وابن رضوان والغزالي ، والماوردي ، وابن حزم ، وابن فرحون ، وابن قيم الجوزية وغيرهم ، وكتب الفلسفة ذات المنهج السياسي كالفارابي ، والرازي فضلاً عن الكتب التاريخية ذات منحى سياسي كابن خلكان ، والطبري وكتب الحديث والرحلات .

. إختلف إسلوب ابن الأزرق في إستقائهِ للمعلومات من المصادر الآخرى فاحياناً يذكر لقب أواسم المؤلف بدون ذكر اسم الكتاب كقولهِ «قال ابن عرفة»(٣٤) ، وقولهِ « قال الماوردي»(٣٥).

. لم يكن إستقاء ابن الأزرق من المصادر المكتوبة فقط بل هناك معلومات يتلقاها شفاهاً من قبل شيوخهِ بصيغة أخبرني كقولهِ « قال وأخبرني شيخنا المذكور بغريبة ..»(٣٦).

. إمتازت كتابة ابن الأزرق بالصدق وذلك بتاكيدهِ على صحة القول كقولهِ « قلت : الذي جزم به الذهبي صحة ما دلت عليه تلك الأحاديث ، لبلوغها عن التواتر الذي لاشك فيه ، والله أعلم»(٣٧).

. استعمل ابن الأزرق الإحالات في بعض الأحيان كقولهِ « قال وأخبرني شيخنا المذكور»(٣٨)، وقولهِ أيضاً « وسيأتي إن شاء الله ما يخصه من الآداب الكلية»(٣٩) ، وقولهِ « لما سبقت الأشارة إليه»(٤٠).

. يستعمل ابن الأزرق أحياناً كلمات الشك كقولهِ«..وعلى ظني أني سمعت الشيخ الإمام . يعني ابن عرفة»(٤١)، وقولهِ أيضاً في نهاية النص كلمة « والله أعلم»(٤٢).

المبحث الثاني :

كتاب طبائع السلك في طبائع الملك

يُعد كتاب «بدائع السلك وطبائع الملك» من أهم المراجع في الفكر السياسي الأسلامي فيقدم نظرة شاملة لنظام السلطة المتمثلة « بالملك والخلافة وأنواع الرياسات « وهو من أهم الكتب في علم السياسة والأخلاق في التراث الأسلامي ، وقد تأثر ابن الأزرق بفكر ابن خلدون فتمثل بالملك والخلافة وسائر أنواع الرياسات وسبب وجود ذلك فضلاً عن شروط الملك والحروب ومذاهب الأمم وأركان الملك ولايغفل أيضاً عن مؤسسات الدولة الآخرى .أي إنهُ قدم تحليل دقيق لصفات الملك المثالي والخصائص التي يجب أن يتحلى بها لكي يحكم مملكته ورعيتهُ بالعدل . وقد جمع في تحليلهِ لموضوع الملك بين النظر العقلي والنظر الشرعي إذ أعتمد على المصادر العقلية كالمنطق والفلسفة

إلى جانب المصادر الشرعية كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

أما بالنسبة «للمراتب السلطانية «التي أناط إليها ابن الأزرق بكتابهِ لإدارة الدولة المتمثلة : بالخليفة وهو رأس الدولة الأسلامية ، وحكام الأقاليم التابعة للدولة فضلاً عن المراتب المهمة الآخرى التي تساهم بقوة الدولة وأستقرارها وديمومتها تمثلت بـ «الوزراة ، والحجابة، والكتابة ، وديوان العمل ، والجباية ، والشرطة» والذي تم التركيز عليها في بحثنا هذا .

. لقد قسم ابن الأزرق وظائف الدولة إلى ثلاث أنظار إبتدأها بالملك فقد بينها بأن من يشتغل هذا المنصب لهُ خصوصية لاسيما لما لهُ من سطوة ولاتوجد يد فوق يده وهذا يبين مدى قوته وسيطرته على الرعية وحماية الأموال وحدود الدولة اي إنهُ أعلى منصب في الدولة وتكون السيطرة لكافة آرجاء الدولة بقولهِ « لا تتم حقيقة هذا المنصب إلاّ لمن تمكن بقهر يده التي لافوقها يد من ظهور آثر ذلك ، باستبعاد الرعيّة وجباية الاموال وبعث البعوث وحماية الثغور والقاصر عن ذلك ناقص بقدر الفائت منهُ ..»(٤٣).

ويسنير ابن الأزرق برأي ابن خلدون عن قوة تسلط الملك لأرجاء الدولة وفرض سيطرته وجمع الدويلات المتناثرة بارجاء الدولة بقول ابن خلدون « كثيراً ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق ، فيوجد ملوك في النواحي القاصية ، يدينون بطاعة الدولة الجامعة لهم كصنهاجة مع العبيديين وزناتة مع الأمويين تارة ومع العبيديين آخرى وكملوك العجم في دولة بني العباس ، وآمراء البرابر وملوكهم مع الأفرنجة قبل الأسلام وكملوك الطرائف من الفرس مع الأسكندر وتكون السيطرة لكافة آرجاء الدولة»(٤٤).

. ويشير ابن الأزرق إلى الخلافة : فمعنى لفظة خليفة في اللغة : خلف وخلفه واخلف وأستخلف وفي الجمع خلائف وخلفاء (٤٥)، وفي الإصطلاح تعني : هو الإمام والزعيم الذي يخلف من قبله فهو مستخلفه في أمور الأمة الدينية والدنيوية(٤٦).

فيرى ابن الأزرق إن الخلافة واجبة شرعية ، ولا يجوز الأستغناء عنها ، لضمان وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها هو يُعد راس الدولة الأسلامية ويعتبرهُ البعض خليفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في حفظ الدين وسياسة الدنيا ، ويرى بأن الخلافة نشأت نتيجة حاجة الناس إلى حاكم ينظم أمورهم ويدافع عنهم وقد ورد عند ابن خلدون « ..عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماماً فأما تسميتهُ إماماً فتشبيهاً بإمام الصلاة في إتباعهِ والأقتداء بهِ ولهذا يُقال الإمامة الكبرى وإما تسميتهُ خليفة فلكونه يُخلف النبي في أمتهِ فيقال خليفة باطلاق»(٤٧) ، وكما يُشير الماوردي بقولهِ « يسمى القائم بهذا المنصب خليفة لخلفهِ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في أمتهِ»(٤٨)، بينما يقول ابن الأزرق « شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). في إقامة الشرع وحفظ الملة ، على وجه إتباعهِ جميع الناس»(٤٩)، وعن الإمامة التي هي تُعد منصب الخليفة فيقول القلعي عنها الذي افرد لها باباً فيقول « ...نظام أمر الدين والدنيا مقصود ، ولايحصل ذلك إلاّ بإمام مُطاع لا نثلم شرف الإسلام وضاع ، لو لم يكن للأمة إمام قاهر لتعطلت المحاريب والمنابر .. لو خلا عصر من إمام لتعطلت فيه الأحكام وضاعت الأيتام ولم يُحج البيت الحرام لولا الأئمة والقضاة والسلاطين والولاة لما نكحت الأيامى ولا كفلت اليتامى لولا السلطان لكان الناس فوضى ولأكل بعضهم بعضاً ..» (٥٠)، فيقول ابن الأزرق عن الخلافة « ..المراد بها وبالإمامة راجع إلى النيابة عن الشارع في حفظ الدين وسياسة الدنيا ..» (٥١)، وقد جاء عند الماوردي بقولهِ « بأن الخلافة حراسة الدين وسياسة الدنيا ويكون عقدها واجب لمن يقوم بها من الأمة وبالأجماع»(٥٢). بينما يراهُ البعض الآخر هو يهتم بمصالح الدولة فُيعد حاكم سياسي .

. أما العصبية التي عدها ابن خلدون الدعامة الاساسية للحكم تكمن في العصبية أي إنها القوة التي تمكن الحاكم من بسط سيطرته على الناس وإخضاعهم لحكمهِ ، وكذلك عدهُ المحور الأساسي في حياة الدول والمماليك ، لذا أشار ابن الأزرق في كتابهِ مبيناً علاقة الخلافة والعصبية التي لعبت دوراً مهماً في نشأة الخلافة وإستمرارها وإن غياب

إحداهما يؤثر على الآخرى فيقول « واسم الخلافة كان باقياً لبقاء عصبية العرب ، ثم ذهب رسمها وآثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وبقى الأمر مُلكاً كما في ملوك العجم في المشرق يدينون بطاعة الخليفة تبركاً ، والملك بجميع مناحيهِ لهم لاشيء منه للخليفة . وكما في ملوك زناتة بالمغرب كصنهاجة مع العبيديين ، ومغراوة وبني يفرن مع بني أمية بالأندلس»(٥٣).

وقد بين أيضاً بأن العصبية ضرورية لقيام الخلافة أي إن الترابط الأجتماعي القائم على النسب أو الأنتماء المشترك ضرورة لقيام الخلافة فبدون عصبية قوية تدعم الخليفة لايمكنه الحفاظ على سلطتهِ وتطبيق أحكام الشريعة الأسلامية ، فالخلافة توحد العصبيات المختلفة وفق ما جاء بنظرية ابن الأزرق إن الخلافة الراشدة التي تأسست على مبدأ الشورى نجحت في توحيد العصبيات العربية المختلفة تحت راية الأسلام ويرجع ذلك إن الخلفاء الراشدين تمتعوا بصفات قيادية إستثنائية وقاموا بتطبيق أحكام الشريعة الأسلامية بعدالة وأنصاف مما أكسبهم إحترام وتأييد جميع العصبيات(٥٤) فيقول ابن الأزرق « ..وقد عهد أبو بكر إلى عمر بمحضر الصحابة رضي الله عنهم ، وعهد عمر في الشورى إلى الستة المعروفين رضي الله عنهم جميعهم ، وعندما أوجبوا على أنفسهم طاعة العهد بذلك ، دل على أنهم أجمعوا على جواز النظر به أولاً ، وعلى إنعقادهِ بعد الوقوع ثانياً»(٥٥).

وقد حذر ابن الأزرق من مخاطر خروج العصبية عن سيطرة الخليفة ففي هذه الحالة تصبح العصبية أداة للفتنة والأنقسام وتهدد وحدة الدولة الأسلامية كقولهِ عن دولة بني العباس « لما فسدت عصبيتها في أيام المعتصم وأبنه الواثق وأستظهروا بعد ذلك بالموالي من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم إلى أن تغلب العجم على النواحي ، وتقلص ظل الدولة فلم تعد أعمال بغداد حتى زحف إليها الديلم وملكوها ، وصار الخلائق في ملكهم إلى أن ملك التتر فمحوا رسوم الدولة ونسخوها»(٥٦).

وكما هو الحال بدولة صنهاجة بالمغرب عند غياب العصبية فقد حلّ فيها الضعف واصبحت تابعة لغيرها كما جاء عند ابن خلدون بقولهِ « فسدت عصبيتهم منذُ المائة الخامسة أو ما قبلها ، وأستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور أفريقية ، إلى أن جاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحوا آثارهم »(٥٧)، وكذلك الحال لدولة بني أميّة بالأندلس «لما فسدت عصبيتها من العرب أستولى ملوك الطوائف على أمرها وأقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزع كل واحد منهم على ما كان في ولايتهِ وشمخ بأنفهِ وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فتلقبوا بالقاب الملك ولبسوا شارته أمنوا ممن ينقض ذلك عليهم أو يغيره لأن الأندلس ليس بدار عصائب ولا قبائل»(٥٨).

. أما علاقة الدين بالدولة فقد بين ابن الأزرق يزيد الدين قوة للدولة بقولهِ « إن الدعوة الدينية تزيد الدولة على قوتها قوة عصبيتها»(٥٩). حيث أعتبر ابن الأزرق الأسلام هو أفضل نظام سياسي يمكن تطبيقه على الأرض وإن الخليفة أفضل حاكم للمسلمين .

. وعن علاقة النزعة الدينية والملك والعصبية يبين ابن الأزرق هناك علاقة وثيقة بينهم فالدين الأسلامي يؤسس للشرعية السياسية للملك ، والعصبية تساعد على توحيد المسلمين ونقويتهم كما يقول « إن الدولة البعيدة الأستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين ودعوة الحق ، لأن إتفاق الأهواء على المطالبة إنما يكون بمعونة من الله تعالى في إقامة دينهِ ..»(٦٠) ، فيلعب مفهوم «الملك والعصبية» دوراً هاماً في الفكر الإسلامي إذ يرتبط إرتباطاً وثيقاً بمسألة السلطة والسياسة وكما هو معروف بأن العصبية هي قائمة على الرابطة القبلية أو العرفية أو الدينية .

وكما هو الحال عند ابن خلدون فيقول « وسره أن القلوب إذا مالت إلى الدنيا ، وقع التنافس ، ونشأ الخلاف ، وإذا رفضت الدنيا ، وأقبلت على الله أتحدت وجهتها ، فذهب التنافس وقل الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد ، وأتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة»(٦١).

. ويشير ابن الأزرق بأن ذهاب الملك عن بعض الشعوب ممكن عودة إلى شعب آخر ، مادام وجود لهم العصبية

معللاً ذلك بأن حصولهم على الملك بعد التغلب على سائر الأمم (٦٢). كقولهِ بانقراض مُلك عاد قام من بعدهم أخوانهم ثمود ، ومن بعدهم أخوانهم العمالقة ، ومن بعدهم من حمير ، وبعدهم التبابعة ، ثم دولة مُضر ، وكذا الفرس إنضى أمر الكينية فملك بعدهم الساسانية إلى أن تم إنقراضهم بمجيء الأسلام(٦٣).

أي إتسمت نظرية ابن الأزرق فيما يخص العصبية وقيام الملك بأنهُ لايحصل المُلك إلاّ بالعصبية والشوكة أي يقصد «الجند» فيكون الملك متوقف على التغلب عليه وهذا يكون متوقف على العصبية لأن كل آمر لايتم حمل الناس عليه إلاّ بالسيف لِما في طباعهم من تغلب (٦٤).

. وفضلاً عن ذلك بين ابن الأزرق علاقة الرياسة بالعصبية ، وذلك بقولهِ « بأن الرياسة قد تحصل لأهل الأمصار بوجود العصبية الغالبة»(٦٥)، ويرى بأن العصبية أمر طبيعي بين الناس لكن يجب ألاّ تتحكم في أمور الدولة لذا يُحذر ابن الأزرق من مخاطر العصبية لما تسود على الدولة الحاكمة بقولهِ « ...ويتعين الغلب لبعضهم ، فيعطف على أكفائهِ بالقتل والتغريب ، حتى يستمد بمصرهِ ..»(٦٦)، ويستشهد ابن الأزرق بما حدث بافريقيّة في آخر الدولة الحفصية لأهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونقطة بسكرة والزاب بقولهِ « ..فتغلبوا على أمصارهم ، وأستبدوا بأمرها على الدولة في الأحكام والجباية عند تقلص ظلها عنهم وأورثوا ذلك أعقابهم ، وحدث في خلقهم من الغِلظة والتجبر ما يحدث لأعقاب الملوك ، ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة»(٦٧) أيّ يبين ابن الأزرق إن تقوية الدولة يمكن أن يساعدها في القضاء على مخاطر العصبية لاسيما الدولة القوية يمكنها فرض سيطرتها على جميع القبائل والأسر الحاكمة ومنعهم من إستعمال نفوذهم لظلم الآخرين .

وعن قوة الدولة يبين ابن الأزرق بأن القوة في مركزها وليس بأطرافها كقولهِ « الدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف والنطاق ، وإذا أنتهت إلى غايتهِ ، عجزت عما وراءهُ»(٦٨). مستشهداً بقولهِ عن الدولة الفارسية وكيفية تم القضاء عليها بقولهِ « فالدولة الفارسية ، كان مركزها المدائن .فلما غلب المسلمون عليه ، أنقرض أمر فارس أجمع ، ولم ينفع يزدجرد مابقي بيدهِ من ممالك أطرافه»(٦٩).

ويبين ابن الأزرق العكس من ذلك للدولة الرومية التي أستطاعت أن تحافظ على قوتها في مركز دولتها كقولهِ « ..الدولة الرومية ، كان مركزها الفسطنطينية ، فلما غلب المسلمون على الشام ، تحيزوا إلى مركزهم ، ولم يضرهم إنتزاع الشام من أيديهم ، وبقي ملكهم به ، إلى أن يأذن الله بأنقراضه»(٧٠).

بينما يُشير أيضاً ابن الأزرق يكون إنقضاء الدولة بسبب إتساعها يبدأ من الأطراف بقولهِ «..إن النقص يبدأ الدولة من الأطراف ، فاذا كانت ممالكها كثيرة فاطرافها بعيدة عن مركزها ومتعددة ، وكل نقص يقع ، فلابد لهُ من زمان ، فتكبر أزمان النقص لكثرة الممالك ، وأختصاص كل واحد منها ، ينقص زمانه ، فيكون أمدها طويلاً»(٧١).

وفيما يخص أطوار الدولة تميز ابن الأزرق بنظريتهِ عن ابن خلدون والتي تمثلت إن الدولة تعيش إذا تحققت العدالة بين الحاكم والمحكوم ، إذا لم يحدث نزاع بين الحاكم والمحكوم لذا هذا لايوافق مع نظرية ابن خلدون . مما جعل ابن الأزرق يتناول بين طيات كتابهِ عن الظلم والأحتجاب ، ويتكلم عن فساد الجباية والأحتكار ويتكلم عن فساد الجباية والأحتكار ويتكلم عن مسؤولية الحاكم تجاه رعيتهِ وتجاه جنده وهذا واضح بكتابهِ لرجوعهِ إلى الأئمة العظماء الذين وقفوا في وجوه الحكام كالطرطوشي في كتابهِ « سراج الملوك» وغيره(٧٢).

وكان ابن الأزرق ينظر بأن فساد المجتمع العربي الأسلامي يعود إلى ما تعرض إليه المجتمع من فساد مادي وإنحلال إقتصادي وإنعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم فضلاً عن التمزق السياسي الذي ساد البلاد الأسلامية المتعددة كما هو التمزق في الأندلس لرقعة صغيرة بمملكة غرناطة ، أمام الطغاة الأسبان يتنازع الأمراء بسبب الأطماع ويختلفون ويقتتلون فيما بينهم ، كما وجدهُ ابن الأزرق في فاس وتونس ومصر بعد إنتقالهِ إليها ووجود المماليك فيها الذين كانوا على نزاع مع الأتراك(٧٣).

وفضلاً عن ذلك بينت نظرية ابن الأزرق بربط السياسة بالفضائل الحميدة والرذيلة بقولهِ « بأن الملك من لهُ خُلق

السياسة فيهم ودلالنها عليهم على أنها لم تجعل فيهم سدى ولاعبثاً ، وذلك لأن الملك خليفة الله على العباد في تنفيذ أحكامهِ ، التي هي خير وصلاح ، وأبطال أحكام الشيطان التي هي شر وفساد ، وإن كان كل ذلك بقضائهِ وقدرهِ ، فمن لهُ عصبية غالبة وأنست منهُ الخلال المناسبة لتنفيذ أحكام الله ، فقد تهيأ للملك وكفالة الخلق به ، وإذا تنافس أهلها من كرم وعفو ...وصبر على مكروه ، ووفاء بعهد وبذل مال في صون عرض وتعظيم شريعة ..»(٧٤) ، وفي حالة إرتكاب الرذائل والمذمومات فينقض الله الملك منهم ، فتفقد الفضائل السياسية إلى أن تخرج منهم (٧٥).

وعلى الرغم مما شاهدهُ ابن الأزرق من أحداث إلاّ إنهُ لم يعرف اليأس فكان يؤمن بان العودة إلى صفات الدولة الأسلامية الأولى إذا ما تخلص الحاكم من أطماعهِ والمحكوم من أطمارهِ لذا أهتم بأخلاقية الحاكم والمحكوم مما دفعهُ إلى التأليف بذلك . فهذهِ النظرية التي ميزتهُ عن ابن خلدون(٧٦).

وقد تطرق ابن الأزرق إلى ركيزة اساسية لأركان الدولة ألاّ وهي :

. الجند :

يُعد الجند هو أساس الدولة وإن قوتهم هي قوة الدولة ، وإستعدادهم هي ضمان لإستقرارها وإزدهارها وهم عصب الدولة وركيزتها الأساسية فهذه نظرية ابن الأزرق إتجاه الجند .

فعن بعض حكماء العرب والعجم « الملك بناء ، والجند أساسه فاذا قوى الأساس ، تم البناء وإذا ضعف الأساس إنهار البناء فلا سلطان إلا بجند»(٧٧).

وبما أن ابن الأزرق تأثر بالفكر اليوناني في بعض أفكاره عن الحكم والأدارة فيكون الجند جزء منها فيقول ما كان في العهود اليونانية « إصرف أكثر إهتمامك إلى تقويم المقاتلة ، وأستوفِ عليهم شرائط الخدمة ، ووفهم مالهم من الأجرة التي فرضها لهم الأستحقاق»(٧٨)

وقد وضح ابن الأزرق بأن العلاقة وثيقة بين الجند والملك لاسيما حينما يكون الملك عادلاً مع جنوده ومكافئتهم على خدمتهم ، ومتفقداً لهم فيقول الطرطوشي « ينبغي للملك أن يتفقد جنوده كتفقد صاحب البستان بستانه ، في قلع ما لاينفع من العشب ، ومع ذلك يضر بالنبات النافع»(٧٩)

لذا أهتم ابن الأزرق إهتماماً كبيراً باعداد الجند وتدريبهم وذلك إنطلاقاً من أهمية الجيش في حفظ الأمن والأستقرار وحماية الدولة فأكد ابن الأزرق يجب أن يكون إختيار الجند لابد أن يتمتعون بالأخلاق الحميدة والشجاعة والأخلاص لكي يكون الأعتماد عليهم تنفيذ الأوامر(٨٠).

فضلاً عن إختيار قائد الجند على حدِ قول ابن الأزرق أن يتمتع بالحزم والشجاعة والسخاء وحُسن التدبير فيقول « لايصلح لقيادة الجيوش إلاّ من أشتهر بحسن لمواساة للاتباع ، وسخاء النفس ببذل المال»(٨١).

أما عن إختيار السلطان للجند حسب ما جاء عند ابن الأزرق يكون ذا أجناس متفرقة وقبائل شتى بحيث لايحدث الأتفاق على رأي واحد في الخلاف والعداوة القبلية لذا تؤكد نظريته يحدث هذا بعد إستقرار الدولة والأستغناء عن العصبية(٨٢).

وعن تقوية علاقة السلطان بالجند والرعية لابد من بث العدل بينهم لكي لايضيع جنده وملكه بقول ابن الأزرق « ..إذا قوى السلطان جنده باضعاف رعيته ، فهو مضيع لجنده ، متلف لملكه وكذا بالعكس ، فليكن غرضه العدل في سيرته وجبايته بين جنده ورعيته»(٨٣).

ومن خلال ذلك نفهم بأن نظرية ابن الأزرق في سياقها التاريخي إذ كان يعيش في عصر شهد الكثير من الحروب والصراعات ، وكان الجند يلعبون دوراً حيوياً في تلك الأحداث .

أما فيما يخص المراتب السلطانية في الأقطار المغربية حسب تفصيل ابن الأزرق تمثلت كالآتي :

. الوزارة:

تُعد من الوظائف المهمة بادارة الدولة لاسيما للحفاظ على إستقرارها فأعطي للوزارة دوراً مهماً في إدارة الدولة

وعدها أهم ركائز الحكم الصالح ومسؤوليتهِ فانها تتجاوز بتنفيذ أوامر الحاكم لتشمل تقديم المشورة الحكيمة ، وإدارة شؤون الدولة بكفاءة والحفاظ على مصالح الشعب ولشرف هذهِ الرتبة السلطانية يقول الطرطوشي لأهمية الوزارة « أشرف منازل الآدميين النبوة ، ثم الخلافة ، ثم الوزارة» (٨٤).

لاسيما إن الوزارة في النظام الإسلامي من المؤسسات المهمة بعد الخلافة ، وذلك على الرغم من كفاءة الخلفاء وقدرتهم السياسية إلاّ إنهم بحاجة لمساعدين ولحُسن سياسة الحاكم لولايتهِ لابد من إختيار من يُعينه ويُشد أزره فنقلاً عن بعض الحكماء : « أعلم أن الملوك تحتاج إلى وزير وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح وأجود الخيل يحتاج إلى سوط وأجود الشفار يحتاج إلى مسن»(٨٥).

لذا أكد ابن الأزرق لأهمية الوزارة في كتابهِ بأن السلطان لايستطيع حمل ماكلف إليه إلاّ بمعونة الآخرين مؤكداً بذلك لوظيفة الوزارة بقولهِ « إن السلطان لما كانت لهُ قواه البشرية لاتستقل بحمل ما قلد ، فلا جرم ، إضطر لمشاركة معين يتم بهِ إستقلالهِ وهو الوزير»(٨٦).

ومؤكداً على ذلك أيضاً بأن لا رياسة تقوم بغير وزير (٨٧). لاسيما ابن الأزرق كغيرهِ من المؤرخين في تاريخ سياسة الدولة الأسلامية ببيان مسؤولية الوزير ودوره الذي تتوقف عليه قوة وبقاء السلطة بقولهِ « « إن سعادة السلطان متوقفة على وزارة الوزير الصالح»(٨٨)، فالوزير هو رأس الجهاز الأداري للدولة ومسؤول عن تنفيذ سياسات الخليفة فيشغل دور محوري في النظام الحاكم وعند ابن الأزرق فأنهُ يشغل منصب رفيع المستوى من حيث تحمله المسؤولية الكبرى الملاقاة على عاتقهِ في إدارة شؤون الدولة أيّ هو المسؤول عن تنفيذ سياساتهِ وإدارتهِ لشؤون الدولة ، لذا يؤكد إن صلاح السلطان يرتبط بصلاح وزيرهِ وهذا يربط نجاح الدولة بأختيار الوزير الصالح والكفوء لها قائلاً « إن صلاح السلطان وفسادهِ ، لازم عن صلاح الوزير وفسادهِ»(٨٩).

وإن الوزارة تشمل جانبين : وزارة التفويض يقوم فيها الوزير مقام الخليفة في كل فعلهِ أي هو مفوض من قبلهِ ، ووزارة التنفيذ التي سُميت من قبل الماوردي صاحب كتاب الأحكام السّطانية التي يكون الوزير بين الخليفة والرعية لذا يقول ابن الأزرق « إنقسمت الوزارة إلى وزارة تنفيذ ، وهي حال قيام السلطان على نفسهِ ، وإلى وزارة تفويض ، وهي حال إستبداد الوزير عليهِ»(٩٠).

ويقول ابن خلدون « إن السلطان يحمل أمراً ثقيلاً فلابد لهُ من الأستعانة بابناء جنسه ، فالوزارة إذن أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية ونديمه مثلهُ بهم تستقيم الأعمال وتجتمع العمال ويقوى السلطان وتُعمر البلدان فأن أستقاموا إستقامت الأكور وإن إضطربوا إضطراب الجمهور»(٩١).

وكما يُشير ابن أبي ربيعة لأهمية الوزير الذي يعتبرهُ الشريك في الملك ، المدبر فيه يحفظ أركانه ، المدبر بالقول والفعل ، وإنهُ لابد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير منظم للأمور ، ومُعين على حوادث الدهور ، ويكشف لهُ صواب التدبير(٩٢).

وعن علاقة السلطان والوزير برعيتهم وبيان مدى صلاحهم يقول ابن الأزرق « وإذا كان صلاح الرعية بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بصلاح الوزير ، فصلاح الرعية بصلاح الوزير ضرورة»(٩٣).

لذا يرى ابن الأزرق بأن الوزير هو العقل المدبر للدولة وهو المسؤول عن تنفيذ سياسات السلطان وتوجيهاته ، أي إنهُ يتولى إدارة شؤون الدولة المختلفة ، فضلاً على إنهُ المستشار للسلطان في شؤون الحكم والأدارة مع تقديم النصائح والتوجيهات في إتخاذ القرارات الهامة التي تتعلق بالدولة .فيقول ابن الأزرق عن الوزراء «ما يستفيدهُ الملك من الوزراء أمران : علم ماكان يجهله ، وزوال الشك فيما يقوي علمهِ»(٩٤).

وهكذا بين ابن الأزرق بعض الصفات التي يتحلى بها الوزير التي أطلق عليها « الفضائل النفسية» وهي العلم بأيام الناس ، وسير الملوك ، وسياسة الرياسة وأدب الخدمة ومعرفة الخط والكتابة والحساب فضلاً عن جودة الفهم من حيث تصور الأمور على حقائقها والحكم عليها بما يجب لها نفياً وإثباتاً (٩٥).

ويؤكد أيضاً على الحكمة والعقلانية التي يتمتع بها الوزير ذكاء وفطنة لكي لا يتدلس عليه الأمور فتشتبه وتلتبس عليه ، وقوة الحفظ ، لكي يتذكر ما يلقى إلى السلطان أو ينقل عنهُ لأنهُ شاهد لهُ وعليه ويكون شرط الشهادة العلم بمتعلقها أداء وتحملاً لاسيما تمكنهُ من إتخاذ القرارات الصائبة في المواقف المحرجة والصعب(٩٦).

أما فيما يتعلق كيفية إدارة الشؤون الداخلية للدولة من الوزير تحلهِ بالحنكة والتجربة ليحمل على صحيح الرأي وصواب التدبير ، والصبر على تحمل ما يقوم بهِ عن سلطانهِ لاسيما مباشرة العامة ، ويكون ذا قوة وعزيمة على فعل ما ينبغي فيكون عادلاً ونزيهاً في تطبيق القانون ويكون معاملة جميع الرعايا على المساواة(٩٧).

وهكذا إن مسؤولية إختيار الوزراء والولاة والعمال من أخطر مهام الحاكم فهو ملتزم بُحسن الأختيار ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب فيقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).« إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل لهُ وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به شر جعل لهُ وزير سوء ، إذا نسى لم يذكره وإذا ذكر لم يغه»(٩٨).

. الحجابة :

يُعد منصب الحاجب من المناصب الأدارية المهمة في الدولة الأسلامية لِما يتحمل من المسؤولية لحماية خصوصية الحاكم ومنع الزوار غير المرغوب فيهم من الوصول إليهِ ، فيقول ابن أبي الربيع«هو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقاءهُ ليرتب الناس بين يدي الملك كما يُليق بمجلسهِ»(٩٩) .

ولأهمية هذا المنصب يقول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): من ولي من أمور الناس شيئاً فاحتجب عنهم إحتجب الله عنهُ دون حاجته وفاقته وفقره»(١٠٠).

ويُشير ابن الأزرق إن الحجابة لا وجود لها في أيام الخلافة الدينية ، وذلك لِما في الشريعة من منع ذوي الحاجات عن باب الخليفة (١٠١)، وقولهِ عن هذا المنصب « لهذهِ المرتبة في الدول الشهيرة تفاوت كثير للعناية بها . ففي دولة بني أمية وبني العباس بالمشرق فاقتصروا بها على من يحجب السلطان عن العامة ، ويغلق بابه دونهم ، أو يفتحه لهم على قدرهِ وفي وقتهِ . فكانت بذلك مرؤوسة للخطط النبيهة ، خصوصاً للوزارة لتصرفها فيها»(١٠٢).

وقد بين ابن خلدون عن هذا المنصب الأداري وتسميته ببلاد مصر والأندلس لاختلاف تسميتها بقولهِ « فهي بمصر مرؤوسة لصاحب هذهِ الخطة العليا المسمى بالنائب ، وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت لمن يحجبه عن الخاصة والعامة ، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء ، فمن دونهم كانت عندهم أرفع المراتب»(١٠٣)، ونقلاً عن العهود اليونانية إهتمامهم بهذا المنصب جاء « وأعلم أن حاجبك صفحة مملكتك التي تستقبل بها الصادر والوارد والبادي والحاضر فأحِسن إختياره»(١٠٤).

وعن صفات صاحب هذا المنصب يقول ابن ابي الربيع « أن يكون فهماً ذا خُلق واسع ، ومنطق بارع ، مُهيب الطلعة ، ذا عقل وحكمة ، ولا يكون مكفهراً ولا سهلاً يعرف مراتب الداخلين على الملك فينزلهم منازلهم ، وعليه أن يعرف سير الملوك وقواعدهم وخاصة الملك وعامته ، ويعرف الأوقات التي يجلس فيها الملك والأوقات التي يكون في خلوتهِ ، وأن يراعي خواص الملك ويكرمهم ويعرف مواضعهم ولايفسح لأحد منهم في الدخول على الملك إلاّ بأذنه ولو كان ولداً»(١٠٥).

أما ابن الأزرق فقد أشار إلى صفات الحاجب الذي يكون أقرب الناس إلى الحاكم ويؤثر بشكل كبير في قراراتهِ وعليه لابد أن يتمتع « بصحة الرأي ليضع الأمور مواضعها ، وعليه المعرفة بأوقات محجوبه وإنبساطه ومنازل الناس منه ، والنزاهة لتمنعه من فساد ترتيب القاصدين ، وتقديم أدانيهم ، والرأفة لتحجزه عن إبتذال الأحرار وإمتهانهم بطول إنتظار الأذن ، وبسط الوجه ، وسلامة الجوارح من الآفات الفادحة في إختيارهِ لتلك المنزلة ، والصدق لما يُنقل للسلطان أو يبلغ عنه»(١٠٦).

- الكتابة :

تُعد نظرية ابن الأزرق بكتابهِ من النظريات المهمة في الفكر السياسي الأسلامي لاسيما إن إهتمام ابن الأزرق بدور الكتابة في حياة الحاكم وسلطتهِ ، وقد يرى مؤلف الكتاب بأن الكتابة هي أداة أساسية للتواصل بين الحاكم ورعيته وتساعدُ على إيصال أفكاره وتوجيهاته بشكل واضح ومؤثر ، فضلاً عن ذلك يرى بأن الكتابة تساعد الحاكم على توثيق إنجازاته وأفعاله ومنها تعزز مكانته وشرعيته(١٠٧).

ويُشير ابن الأزرق إلى أرسطو في فضل العناية بالكتابة بقولهِ « ولابد أن يتخير من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروءة والحشمة منهم ، وزيادة العلم ، وعارضة البلاغة ، قال مُعرض للنظر في أصول العلم ، لِما يعرض في مجالس الملوك ومقاعد أحكامهم من امثال ذلك ، مع ما تدعو إليه عشرتهم من الآداب والتخلق بالفضائل»(١٠٨).

وقد أشار أيضاً إلى رعاية هذا المنصب الإداري مُبيناً كيفية سياسة أرسطو لهذا المنصب بقولهِ « كما أنهُ يترجم عن إرادتك ، ويطلع على أسرارك ، ويقيم في المحافل عند نظرائك جاهك فكذلك أن ترعى من أموره ، بقدر ما يخدمه من إرادتك ويحتمله من أعباء رياستك ، وأن تنزله منزلة الجزء منك الذي صلاحه بصلاحك»(١٠٩).

ويؤكد أيضاً على أهمية الكتابة في تنظيم شؤون الدولة وإدارتها وأن الحاكم خلال كتاباته يمكنه أن يضع القوانين والأوامر للتوجيه للعمل الأداري»(١١٠).

إن نظرة ابن الأزرق لكتابهِ آثر كبير في الفكر السياسي الأسلامي ، وهي تُعد من أهم أدوات الحاكم للتأثير والتوجيه .

- ديوان العمل والجباية :

وهو من الدواوين المهمة التي تناولها ابن الأزرق بكتابهِ ويُعد جزءاً حيوياً للدولة وهو من الأجهزة الأدارية ، وقد ناقش مؤلف الكتاب هذا الديوان وأهميته في إستقرار الدولة وإزدهارها فهذا يبين رؤية ابن الأزرق الشاملة للإدارة المالية في الدولة من حيث ضبط الأنفاق والإيراد .

بالوقت نفسه إن الأهتمام بهذا الديوان لاسيما فهم التطور الأقتصادي للدولة الأسلامية ، فضلاً عن الآثر السياسي المالي على المجتمع .

ولأهمية هذه الوظيفة ما أكدهُ ابن خلدون بأن ديوان العمل والجباية هي وظيفة ضرورية للملك ، وجزء عظيم منه ، بل هي ثالثة أركانه ، وذلك لابد من الجند ، والمال والمخاطبة لمن غاب عنه ، لذا يحتاج صاحبه إلى أعوان في أمر السيف والقلم والمال ، فينفرد صاحبها بجزء من رياسة الملك في القيام على أعمال الجباية ، وحفظ حقوق الدولة في الدخول والخروج وأحصاء العساكر ، وتقدير أرزاقهم ، وصرف أعطيتهم في وقتها (١١١).

وقد أكد ابن الأزرق إن هذا الديوان يكون مؤهلاً بكفاءة عالية ويجب أن يتولى إدارته أشخاص أمناء وأكفاء بقولهِ « فقد تفرّد هذه الوظيفة بناظر واحد ، ينظر في سائر الأعمال وقد يفرّد كل صنف منها بناظر ، كما يفرّد في بعض الدول النظر في أعطيات العساكر أو غير ذلك على حسب مصالح الدولة ..»(١١٢).

وأشار ابن الأزرق إلى العدالة في التعامل مع الأموال العامة لحفظها فيقول « إذا كان القصد بهذهِ الوظيفة حفظ المال ، فمن الحق فيه»(١١٣)، ويُضيف بقول الطرطوشي « أن يؤخذ من حق ، ويوضع في حق ، ويمنع من سرف ، ولا يؤخذ من الرعية ، إلا ما فضل من معاشها ومصالحها ، ثم ينفق في الوجوه التي يعود عليها نفعها»(١١٤).

وعن كيفية المعاملة بجباية الأموال وتعدد مصادر هذا الديوان من ضرائب الرسوم العوائد من الاراضي الزراعية بقولهِ « الرفق في إستجباء مال الجباية والخراج واجب»(١١٥)، وعن الطرطوشي فيقول « مُر جباة الاموال بالرفق ، ومجانبة الخرق ..»(١١٦).

وفضلاً عن ذلك أكد ابن الأزرق على أهمية العدالة في التعامل مع الرعية لاسيما أن تكون الضرائب عادلة ولاتثقل كاهل الفقراء فيقول « يجب أن يكون الأعتداد بما يبقى بأيدي الرعية ، فوق ما يستخلص منها لبيت المال ، بهذا

الحفظ ، لأنها مادة وفوره ونمائه»(١١٧).

وأما عن التعدي والتجاوز بجباية الأموال بين ابن الأزرق يؤدي إلى الخراب والقضاء على الدول بقولهِ « التعدي في جباية المال بما يخل بحفظ العمارة ، قاض بخراب الدول فأجره على ما تقدم برهانه ، فيجب هنا إستحضاره»(١١٨).

وبهذا تُعد نظرية ابن الأزرق في ديوان العمل والجباية إرثاً فكرياً قيماً ولاتزال أفكاره لها صلة بالواقع المعاصر وممكن الأستفادة من أفكارهِ في تطور الإدارة المالية للدول لغرض تحقيق الأستقرار الأقتصادي والأجتماعي .

الشرطة :

أهتم ابن الأزرق إهتماماً كبيراً بدور الشرطة وهو أحد المراتب الأدارية للدولة لاسيما الحفاظ على الأمن والأستقرار في المجتمع .

فعن مرتبة الشرطة يُشير إلى تحقيق العدل في المجتمع بكشف الجرائم وتقديم الأدلة ضد المجرمين كما في الدولة العباسية فيقول « وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يُقيم أحكام الجرائم ..»(١١٩) ، وقد بين العلاقة بين الشرطة والسلطة الحاكمة ويعدها آداة من أدوات السلطة في تحقيق أهدافها كقولهِ عن بني أمية بالاندلس يقول « ثم عمت نباهتها في دولة بني أمية بالاندلس ، ونوعت إلى شرطة كبرى وصغرى ، وجعل حكم الصغرى على العامة فقط ، وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء وذوي المراتب السلطانية ..»(١٢٠).

كما ذكر ابن الأزرق بأن للشرطة دور في تنفيذ أحكام القضاء ضد المتهمين بقولهِ «وعند تنزه القاضي عن ذلك أقيم له صاحب هذه الوظيفة ، وربما جعل لهُ النظر في الدماء والحدود ..»(١٢١).

ولأهمية مكانة الشرطة في الدولة لحفظ الأمن والأستقرار فيكون التعيين من قبل السلطة وهذا ما أكده ابن الأزرق عن الصلة بين السلطة والشرطة فيقول « يجب على الإمام أن يولي ذلك ثقة ديناً ، صارماً في الحقوق والحدود ، متيقظاً غير مغفل»(١٢٢).

لذا إن ابن الأزرق يقدم رؤية متوازنة ومتكاملة لدور الشرطة في المجتمع ، ممكن أن يعزز دور الشرطة في الحفاظ على الأمن والأستقرار .

الخاتمة:

. أبو عبدالله ابن الأزرق الأندلسي عالم دين وأجتماع وسياسي كان في غرناطة بالأندلس ولهُ دراية بالفقه والأدب .ذا شخصية علمية بارزة ترك إرثاً فكرياً غنياً ومنها كتاب بدائع السلك في طبائع الملك وهو موضوع بحثنا .

. كان ابن الأزرق كاتباً وشاعراً في بلاط السلطان ، الف كتابه ليفيد السلطان بنصائح وتوجيهات تساعده على الحكم .

. يُعد كتاب بدائع السلك في طبائع الملك لأبن الأزرق موسوعة في علم السياسة والإدارة لاسيما تقديم نظرة شاملة لمسائل الحكم والإدارة ، وطبيعة السلطة الملكية والخلافة الإسلامية مع شرح الأختلافات بينهم وشؤون الدولة فضلاً عن أهمية الأخلاق في السياسة وكيفية تأثيرها على أستقرار الدول .

. فضلاً عن المبادىء الأساسية التي يجب على الحاكم أن يبني حكمه عليها كالعدل والشورى وحفظ الدين ، مع ذكر الواجبات والمسؤوليات التي تقع على عاتق الحاكم .

. جمع ابن الأزرق بكتابهِ بين النظريات الفلسفية والأمثلة التاريخية مستعرضاً الملك والخلافة وأنواع الرئاسات .

. كان أسلوب ابن الأزرق في كتابه أسلوب سلس سهل الفهم.أمتاز كتابه أيضاً بالوضوح والعمق فأصبح مهم للباحثين والدارسين .

. بين ابن الأزرق بنظرينه الأسباب التي تؤدي إلى ضعف الدول وسقوطها كالظلم والتهاون في تطبيق القانون .

. تطرقنا في بحثنا هذا إلى المراتب السلطانية الأساسية في الحكم التي تمثلت « الوزارة والحجابة والكتابة وديوان العمل والجباية والشرطة».

الهوامش:

(١) ابن الأزرق ، محمد بن علي «ت٨٩٦هـ» ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق ، د. علي سامي النشار ، منشورات وزارة الأعلام. الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧م ، سلسلة كتب التراث « ٤٥» ، ج١، ص٨٢.

(٢) م ، ن ، ج١، ص١٨٣.

(٣) م ، ن ، ص٢٠.

(٤) م ، ن ، ج١، ص٢١.

(٥) ينظر : السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي (ت) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٤٢١هـ. ١٩٩٢م، ج٩، ص٢٠. ٢١ ، المقري ، احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الرطيب ، تحقيق ، إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ج٢، ص٦٩٩ ، السائح ، حسن ، ابن الأزرق شارح ابن خلدون ، مجلة ، دعوة الحق ، العدد الثالث ، السنة العاشرة ، رمضان ١٣٨٦ هـ. ١٩٦٧.

(٦) بدائع السلك ، مقدمة المحقق ، ص٧.

(٧) م ، ن .

(٨) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٩، ص٢٠.

(٩) م ، ن .

(١٠) المقري ، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني (ت١٠٤١هـ) ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق ن مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري والحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ. ١٩٣٩ ، ج٣، ص٣٠٢. ٣٠٤.

(١١) المقري ، نفح الطيب ، ج٤، ص٥١٠. ٥٢٩.

(١٢) م ، ن .

(١٣) مقدمة المحقق لكتاب بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص٩.

(١٤) السخاوي ، ج٩، ص٢١.

(١٥) التنبكي ، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد التنكوري السوداني (ت١٠٣٦هـ) ، نيل الأبتهاج بتطريز الديباج ، عناية وتقديم : د عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، طرابلس. ليبيا ، الطبعة الثانية ، ص٥٤.

(١٦) بدائع السلك ، ج١، ص١٢. .

(١٧) المقري ، أزهار الرياض ، ج٤، ص٣٠٣. ٣٠٤.

(١٨) الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢١.

(١٩) أزهار الرياحين ، ج٣، ص٣١٩.

(٢٠) التنبكتي ، نيل الأبتهاج ، ص٣١٩. ٣٢٢.

(٢١) م ، ن ، ص٣٢٤.

(٢٢) م ، ن ، ص٢٦٢.

(٢٣) السخاوي ، ج٩، ص٢١.

(٢٤) أزهار الرياض ، ج٢، ص٣٠٤.

(٢٥) نفح الطيب ، ج٢، ص٧٠٣.

(٢٦) م ، ن .

(٢٧) م ، ن ، ج٢، ص٧٠١.

(٢٨) م ، ن ، ج٢، ص٧٠٤.

(٢٩) م ، ن ، ج١، ص٣٣.

(٣٠) م ، ن ، ج١، ص٣٤. ٣٥.

(٣١) م ، ن ، ج١، ص٣٥. ٣٦.

(٣٢) م ، ن ، ج١، ص٣٦.

(٣٣) دراسة نقدية لمصادر كتاب بدائع السلك في طبائع الملك ، لابن الأزرق ، ج٢، ص٨٥٩.

(٣٤) م ، ن ، ج١، ص٩١.
(٣٥) م ، ن ، ج١، ص٩٢.
(٣٦) م ، ن ، ج١، ص١٤٦.
(٣٧) م ، ن ، ج١، ص١٤٤.
(٣٨) م ، ن ، ج١،ص١٤٦.
(٣٩) م ، ن ، ج١، ص١٥٦.
(٤٠) م ، ن ، ج١، ص١١٩.
(٤١) م ، ن ، ج١، ص١٥٤.
(٤٢) م ، ن ، ج١، ص١٧١.
(٤٣) م ، ن ، ج١، ص٨٩.
(٤٤) عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة ، دار الفكر ، ص٦٨٤.
(٤٥) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، تحقيق ، يوسف الشيخ محمد ، ط٥، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٩م.
(٤٦) الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧١هـ) ، المصباح النير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ج١، ص٢٣.
(٤٧) م ، ن ، ص١٩١.
(٤٨) الأحكام السطانية ، تحقيق ، أحمد مبارك البغدادي ، الكويت ، مكتبة دار ابن قتيبة ، ١٩٨٩ ، ج١، ص١٥.
(٤٩) بدائع السلك وطبائع في الملك ، ج١، ص٩١. محمد بن علي بن الحسن بن علي القلعي (ت٦٣٠هـ) ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق ، ابراهيم يوسف مصطفى.
(٥٠) عجو ، مكتبة المنار ، بيروت ، ق١ ، ص٩٧. ٩٨.
(٥١) بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص٩٠.
(٥٢) الأحكام السلطانية ، ج١، ص٣.
(٥٣) بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص٩٦.
(٥٤) م ، ن ، ج١، ص٩١.
(٥٥) م ، ن ، ج١، ص٩٣.
(٥٦) م ، ن ، ج١، ص١١٣، ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٥٥.
(٥٧) المقدمة ، ص١٥٥، ابن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص١١٤.
(٥٨) م ، ن .
(٥٩) بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص١١٧.
(٦٠) م ، ن .
(٦١) المقدمةص١٥٥.
(٦٢) بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١ ، ص١٢٣.
(٦٣)م ، ن .
(٦٤) م ، ن ، ج١، ص٢٠٤.
(٦٥) م ، ن ، ج١، ص١٢٤.
(٦٦) م، ن، ج١، ص١٢٤.
(٦٧) م ، ن ، ج١، ص١٢٥.
(٦٨) م ، ن ،ج١، ص١٢٠.
(٦٩) م ، ن ، ج١، ص١٢١.
(٧٠) م ، ن .

(٧١) م ، ن ، ج١، ص١٢٢.
(٧٢) م ، ن ج٢، ص٤٨٤.
(٧٣) م ، ن .
(٧٤) م ، ن ، ج١، ص١٢٦.
(٧٥) م ، ن .
(٧٦) م ، ن .
(٧٧) م ، ن ،ج١، ص١٩٦.
(٧٨) م ، ن .
(٧٩) سراج الملوك ، ص١٢٣.
(٨٠) م ، ن ، ج١، ص٢٠٤.
(٨١) م ، ن .
(٨٢) م ، ن ، ج١، ص١٩٨.
(٨٣) م ، ن ، ج١، ص٢٠٠.
(٨٤) أبي بكر محمد بن الوليد الفهري (ت٥٢٠هـ) ، سراج الملوك ، تحقيق ، محمد فتحي أبو بكر ، تقديم ، د. شوقي ضيف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م ، ص٧٤.
(٨٥) بدائع السلك ، ج١، ص١٧٥.
(٨٦) م ، ن ، ج١، ص١٧٦.
(٨٧) م ، ن ، ج١، ص١٧٨.
(٨٨) م ، ن .
(٨٩) م ، ن ، ج١، ص١٨١.
(٩٠) المقدمة ، ص٢٧٠.
(٩١) سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص٥٣.
(٩٢) م ، ن ، ج١، ص١٧٨ - ١٧٩.
(٩٣) م ، ن ، ج١، ص١٨٨.
(٩٤) م ، ن ، ج١، ص١٨٣.
(٩٥) م ، ن .
(٩٦) م ، ن ، ج١، ص١٨٤.
(٩٧) أبي داود .
(٩٨) سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص٣٧.
(٩٩) سنن الترمذي ، ج٢، ص٣٩٥.
(١٠٠) بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص١٦٩.
(١٠١) م ، ن ، ج١، ص٢٧٠.
(١٠٢) المقدمة ، ج٢، ص٧٧٩ - ٧٨١.
(١٠٣) ابن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ج١، ص٢٧١.
(١٠٤) سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص٣٧.
(١٠٥) بدائع السلك وطبائع الملك ، ج١، ص٢٧١ - ٢٧٢.
(١٠٦) م ، ن ، ج١، ص٢٧٦.
(١٠٧) م ، ن ، ج١، ص٢٧٦.

(١٠٨). م ، ن .
(١٠٩) م ، ن ، ج١، ص٢٨١.
(١١٠) المقدمة ، ج٢، ص٧٨٣.
(١١٢)بدائع السلاك ، ج١، ص٢٨٤.
(١١٣) م ، ن ، ج١، ص٢٨٧.
(١١٤) سراج ، ص١٢٣.
(١١٥) بدائع السلك ، ج١، ص٢٨٧.
(١١٦) سراج ، ص١٢٣.
(١١٧) بدائع السلك ، ج١، ص٢٨٨.
(١١٨) م ، ن .
(١١٩) م ، ن ، ج١، ص٢٨٩.
(١٢٠) م ، ن ، ج١، ص٢٩٠.
(١٢١) م ، ن ، ج١، ٢٨٩.
(١٢٢) م ، ن ، ج١، ص٢٩١.

المصادر:

١. ابن الأزرق ، محمد بن علي «ت٨٩٦هـ» ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق ، د. علي سامي النشار ، منشورات وزارة الأعلام. الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧م ، سلسلة كتب التراث « ٤٥ ».
٢.التنبكي ، أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد التنكوري السوداني (ت١٠٣٦هـ) ، نيل الأبتهاج بتطريز الديباج ، عناية وتقديم : د عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، طرابلس. ليبيا ، الطبعة الثانية..
٣.أبي بكر محمد بن الوليد الفهري (ت٥٢٠هـ) ، سراج الملوك ، تحقيق ، محمد فتحي أبو بكر ، تقديم ، د. شوقي ضيف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م
٤. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت. لبنان .
٥. السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٤٢١هـ. ١٩٩٢م.
٦. السائح ، حسن ، ابن الأزرق شارح ابن خلدون ، مجلة ، دعوة الحق ، العدد الثالث ، السنة العاشرة ، رمضان ١٣٨٦ هـ. ١٩٦٧.
٧. المقري ، احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الرطيب ، تحقيق ، إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .
٨. المقري ، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني (ت١٠٤١هـ) ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق ن مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري والحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ. ١٩٣٩ ،
٩.أبي بكر محمد بن الوليد الفهري (ت٥٢٠هـ) ، سراج الملوك ، تحقيق ، محمد فتحي أبو بكر ، تقديم ، د. شوقي ضيف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م
١٠. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، تحقيق ، يوسف الشيخ محمد ، ط٥، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٩م.
١١.الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧١هـ) ، المصباح النير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، بيروت..
١٢. الماوردي ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ) ، الأحكام السطانية ، تحقيق ، أحمد مبارك البغدادي ، الكويت ، مكتبة دار ابن قتيبة ، ١٩٨٩
١٣. محمد بن علي بن الحسن بن علي القلعي (ت٦٣٠هـ) ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق ، ابراهيم يوسف مصطفى عجو ، مكتبة المنار ، بيروت